أسد الله وأسد رسوله

حمزة بن عبد المطلب

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

هى صفحات أعرض فيها صورة من حياة بطل وفقه الله إلى تيمم الهدف الأسمى للانسان فى حياته ، وهو خدمة الخير والتضحية بالنفس فى سبيل الحق . بطل عقد النصر بلوائه وتوثق ، لما كان له من قدرة فى الحرب وما تيسر له من صدق الإيمان وجلال الفروسية وهيبة الرجولة .. بطل كسب معاركه بقوة الروح وحماسة العقيدة وإيمان متوافر دفاع يكاد من حيويته وقوة دفعه يزحزح الجبال . بطولة لا تكاد تمضى فى صحبتها حتى يدركك العجب ، إذ تتمثل لك هذه البطولة الفذة فى بيتى الشاعر المتنبى :

ولا تحسبن المجد زقا وقينة فما المجد إلا السيف والفتكة البكر
وتركك فى الدنيا دوياً كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر

حياة كانت ناعمة مترفة غايتها القصوى التمتع بمفاتنها من زق وقينة وقنص، هى حياة من مهد له بلوغ أسرته سنام الشرف وذروة الجاه ـ ما يريد من متاع الدنيا ، فلا يرى إلا مقبلاً عليها ، ثم تتلوها حياة الساعين نحو فيض النور الذى انبثق من (ابن عبدالله) مبشراً بالحقيقة الخالدة التى تنكبها الضالون ، وأخفاها المضلون تحت ستار الشهوات والطغيان .. حياة مزقت تلك السجف الغلاظ التى رانت على قلوب عباد الشهوات وأحلاس المنكرات . . فلا ترى المجد إلا فى صراع دون الحق يفيض ثباتاً وفى اعتزاز يفيض إيماناً ، وحرب هى نزال الأبطال وضرب لا يثبت له غير الرجال . فإذا بصاحبها يترك فى مسمع الزمان دوياً لا بما خاض من معارك أو عقد للوائه من انتصار ، ولكن للمعانى السوامى التى قصد إليها من وراء هذه المعارك وتلك الانتصارات من دفاع عن دين خالد وعقيدة علوية استطاعت بجهاد أبنائها الذين ثبتوا لها ثبوت الأطواد التى تتوج

بأكاليل النصر ، وتؤكد للبشرية كريم إسهامها فى بناء صرح الحضارة الإنسانية .

وأخيراً كان الدوى الخالد فى سمع الدنيا يوم كتب صاحب هذه البطولة أروع صحيفة من صحائف الاستشهاد ، ولكن كتب الله له فيها الحياة فقال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : (سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب) .

أجل لا ندحة لنا من تقديم تلك الصفحات القلائل عن سيرة (بطل يوم بدر ، وسيد الشهداء) فإنه من الإثم والتقصير فى ذات الإسلام وفى ذات العروبة وفى ذات الإنسانية أن تظل سيرته مفرقة معرضة للنسيان ، وأن تظل محجوبة نتحدث عنها ونفاخر بها ، ولا نكاد نعرف عنها إلا قليلاً .

حمزة بن عبد المطلب

كلما ازددت اطلاعاً على أخبار حمزة زاد إكبارك إياه وإعجابك به ، فلقد جمع سمات البطولة الحقة من أطرافها . عاش غالب حياته فى جاهلية تمر فى ظلام الخمول وتحلل الترف ، فلا تضفى على ذويها شيئاً من المجد حتى كاد يكون نكرة مجهولة لولا ما كان من فروسيته وشجاعته ومن شرف أسرته وجاهها الفسيح ، وأخيراً من شخصيته المتميزة . ثم عاش (حمزة) فى نور الإسلام ، فكان فيه علم الأعلام وبطله المظفر وطوده الأشمخ ، وكانت نقطة التحول فى حياته هى اللحظة التى دخل فيها الإسلام منتصفاً لصاحب الدعوة المحمدية الخالدة ، هنا ولد (حمزة) حقاً وبدأت حياته فى التاريخ .

مولده ونسبه :

لقد أمضى فى الجاهلية أربعين عاماً ونيفاً لا نعرف عنه فيها غير ما سلف إلا أنه : حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب وقد ولد فى مكة عام (٥٦٦ م) وولد لأبيه عبد المطلب بن هاشم عشرة بنين وست بنات .

أما البنون فهم : العباس وحمزة وعبد الله وأبو طالب (عبد مناف) والزبير (أكبر أعمام النبى عليه السلام) ، والحارث وحجل والمقوم وضرار وأبو لهب (عبد العزى) .

وأما البنات فهن صفية وأم حكيم البيضاء وعاتكة وأميمة وأروى وبرة .

وكان حمزة أصغر من عبد الله والعباس أصغر من حمزة ، ولم يدخل فى الإسلام من أبناء عبد المطلب الذين ذكرنا أحد إلا حمزة والعباس .

والدته :

والدة حمزة والمقوم وحجل وصفية هى هالة بنت وهيب بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب ، وهى ابنة عم آمنة بنت وهب — وقد تزوج عبد المطلب (هالة) وتزوج ابنه عبد الله (آمنـــة) فى ساعة واحدة ، فولدت هالة لعبد المطلب (حمزة) وولدت آمنة لعبد الله (رسول الله عليه السلام) ثم أرضعتهما ثويبة مولاة أبى لهب .

زوجاته وأولاده

وقد تزوج حمزة : أسماء بنت عبيس وهى أخت ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النبى لأمها .

وقد ولد لحمزة : (عمارة) وأمه خولة بنت قيس بن فهـد الأنصارى و (يعلى وعامر) وأمهما أنصارية . و (ابنة) تزوجها سلمة بن أبى سلمة ابن عبد الأســـــد المخزومى وقد انقرض عقبه رضى الله عنه وكان يكنى (أبا عمارة) .

ولما أشرق نور الإسلام وأسلم حمزة سنة ست من النبوة عرفنا عنه أنه الرجل الذى أسلم انتصاراً لابن أخيه محمد عليه السلام ، وأنه صاحب أول بعث فى الاسلام ، وأنه حامل اللواء فى أول غزوات النبى الكريم ضد المشركين واليهود ، وأنه بطل يوم بدر والمقاتل (فى أحد) بسيفين ، وأنه أسد الله وأسد رسوله ، وأنه وزير النبى ورفيقـه ، وأنه نجدة الصحابة وعلى رأس السابقين الأولين ، وأنه من الصديقين والشهداء الذين مجدهم القرآن ، وأفسحت لهم الجنان ، ثم هو بعد كل هذا سيد الشهداء .

صفاته :

أما صفاته كما نستوحيها من سيرته ومما نظم فيه أو قيل عنه فهى :

ذو جسم قوى متين ، ووجه مشرق بارز الملامح واضح القسمات . وهيئة جليلة مهيبة فيه نجدة وبأس وسيادة . . . كان من الأمجاد الذادة والأنجاد القادة وكان من أعظم لداته عند الأخطار وأطلبهم للأوتار وأحماهم للذمار وأطعمهم للعافين والجار ، كما كان الليث الضرغامة قراع كل هامة ، لا يقر على ظلامة بل كان آفة الأقران والمهيب فى كل مكان ، حين أسرع إلى الإيمان وآمن بالفرقان كان المدره المنافح والبطل المكافح .

وجماع مانقوله فيه أننا نقرأ عن غيره فإذا رأيناه كان دون ما وصفه به إلا (حمزة) فإنه كان فوق ما قيل فيه .

يوم استشهاده وقبره:

ولو مات (حمزة) رضى الله عنه وهو فى جاهليته ما كان له عند الله ولا عند الناس منزلة ، ولكن الله أراد له الخير ، فجعل فى عمره لحظة من هذه اللحظات المباركة التى تبدل حياة الإنسان كلها ، وتنقله من حال إلى حال . إنها نفحة من نفحات الله تنقل المرء من طريق النار الذى كان يسير فيه ، فتسلك به طريق الجنة ، بل تنزله أسمى مراتبها . وقد اصطفاه الله إلى جواره وهو فى ذروة مجده ، فاستشهد يوم السبت للنصف من شوال من السنة الثالثة للهجرة عام (٦٤٥ م) بعد أن قتل واحداً وثلاثين، ودفن عند (أحد) فى موضع استشهاده ، وكان عمره تسعاً وخمسين سنة .

نشأته وصلته بالرسول عليه السلام

لقد كان (حمزة) عما لمحمد ولكنه لم يكن يكبره إلا بأربع سنوات ، فلم تكن الصلة بينهما صلة العم بابن أخيه بل صلة الصديق بالصديق فقد نشآ تربين يمرحان فى نواحى مكة ، وصبيين تجمعهما وشائج السن والنسب ، ثم انصرف (محمد) منذ السن الباكرة إلى ما هيأه الله له من الرعى والتجارة فى

حين انصرف (حمزة) إلى ما كان أبناء عبد المطلب منصرفين إليه من اللهو حيناً وشئون السيادة حيناً .

كان حمزة بن عبد المطلب فى عالم بعيد كل البعد عن عالم (مكة) وما تنتابها من غير وما تدور فيها من أزمات . . إنه يقبل على لذاذات الحياة من مال وجاه وقوة وسطوة يأخذ فيها من النعم بأكبر نصيب . . وقد شغله كل ذلك حتى عن ذلك الصوت الإلهى الذى يدعوهم إليه ابن أخيه (محمد بن عبدالله) فيندفق فى قلوب القوم نوراً وضياء ، وإن (حمزة) ليسمع هذا الصوت قوياً فيشعل فى نفسه شعلات غامضات لا يعرف لها كنهاً ، وتعود الحياة بلذائذها ، فتطغى عليه ، فيعب من ترفها ، ولا ينصت بعد إلى هذا الصوت الداخلى .

ولقد دعاه (أبو طالب) سيد قريش إلى منعة ابن أخيه ، فاستجاب وإن لم يكن قد استجاب بعد لما دعا (محمد) إليه . وقد كان (حمـــزة) أعطف بنى عبد المطلب على (محمد) ابن أخيه عبد الله ، إذ كان (عبد الله) قد توفى وحمزة فى السادســة فشب وهو يسمع من آله أخبار أخيه الشاب الذى اختطفه الموت على صورة محزنة فى (المدينة) بعيداً عن أهله وزوجه وولده ، بل كان (محمد) أثيراً على نفسه فقد رضعا معاً من لبان (ثويبة) جارية أبى لهب . . . فلما بلغ (حمزة) مبلغ الإدراك كان من أرق خلق الله لابن أخيه اليتيم ، ثم رأى منه بعد ذلك ما زاده حباً له . . رأى فيه كرم نفس واستقامة خلق ، فمالت إليه نفسه ، وجمع الله بين قلبيهما حتى رأينا (محمداً) يصطفيه ويفضى إليه بذات نفسه قبل أن ينزل عليه الوحى ويبعثه الله نبياً . . وهذه (خديجة بنت خويلد) تعرض نفسها على (محمد) ليتزوجها ، وكانت (أوسط نســاء قريش نسباً وأعظمهن شرفاً وأكثرهن مالاً وكل قومها كان حريصاً على ذلك منها لا يقــدر عليه) فكان حمزة أول آله سعياً فى إتمام ذلك الزواج ، ومضى

يعين ابن أخيه ، وصاحبه عليه فخرج معه حتى دخل على (خويلد بن أسد) فخطبها إليه وظل (حمزة) بعد ذلك صاحباً (لمحمد) وصفياً يتحدث إليه محمد فى كل أمر يريد أن يفعله وقد قضيا سنوات الصبوة والشباب معاً .

وإن رسول الله ليتحمل من الإعنات والارهاق ويصبر عليهما صبراً ينفذ نفاذاً هائلا فى قلب حمزة ، فيثير فى نفسه الدهشة والإعجاب ، ثم ينقلب هذا الإعجاب إلى حب عميق .

غير أن هذا كله لم ينهه عن دنياه التى يمرح فيها . . فيمضى سادرا فى لهوه البرىء ، من الصيد ولقد تركه (محمد) — وهو يعلم أنه فى الذروة من أهله وفى الأوج بين سادتهم — لأنه كان على يقين مما تنطوى عليه نفس عمه (حمزة) من الحب له والاستعداد للكفاح فى سبيله إذا جد الجد ، وتحرج الأمر .

ابو جهل بين اعداء الاسلام :

وهؤلاء هم أعداء الإسلام وأعداء الرسول قد اجتمعوا فى ساحة الكعبة يتذاكرون أمر (محمد) ويرمونه بالمجانة، ويتخذونه سبيلاً للهو ووسيلة للتسلية.

وهذا أبو جهل (عمرو بن هشام) فرعون هذه الأمة يتوسط هذا الجمع ، وقد كان سىء الخلق فظاً غليظ القلب . . ثم يتحدث إليهم بما أنزل بالرسول الكريم من ضر ومساءة وما دبر له من كيد . . وهم يستمعون إلى هذا الجلف الزنيم فى كثير من الرضا والعجب وفى شىء من السخرية لأنهم يعلمون أن (محمداً) إنما يسكت عنه حلماً وتعففاً ، وأنه لو شاء لعرف كيف يؤدبه . فإن (محمداً) هو الرجل الشديد المراس القوى القلب الذى لا يخشى أبا جهل ولا أبا لهب ، ولكنه خلق صبوراً كريماً يرد الناس عن الجاهلية بحلمه وكريم شيمه . . وإن بعض الجمع ليضحك مما يرويه هذا الكهل الغر (أبو جهل) ،

ثم يعجبون كيف يرضى لنفسه أن يكون لعبة فى يد العابثين ممن يغرونه بمحمد الأمين الذى لم يؤذ فى يوم أحدا ، ولم يمس قريشا بما لا يرضيها ، وإن بعض عقلائهم ليحدثونه فى ذلك ، ويرجون أن يردوه بالحسنى ، ولكنه لا يريد ، لأنه خلق مغلق النفس غليظ القلب ، ولم يبق إلا أن يؤخذ مرة أخذاً قويا حتى يرتد إلى صوابه .

ايذاء ابى جهل للرسول :

وكان (محمد) يتخذ لنفسه بين الحين والحين مجلساً عند (الصفا) يحدث الناس فيه بدينه ، ويدعوهم إليه بالحسنى ، فإذا لم يجتمع إليه أحد انفرد بنفسه يتأمل الناس ، ويفكر فى شأنه ، فبينما هو جالس يوما إذ مر به (أبو جهل) فأغراه إنفراد (محمد) بالعدوان عليه وآذاه وشتمه وناله ببعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره ، فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وكانت (مولاة لعبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة) فى مسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه فعمد إلى ناد لقريش عند الكعبة ، فجلس معهم .

حمزة ينتقم للنبى :

ولم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه أن عاد من قنصه متوشحاً قوسه وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له . . وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة متحدثاً متندراً مع حلقاتها ، وكان لا يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم ، وكان أعز فتيان قريش وأشدهم شكيمة ، وكان لا يزال مشركا على دين قومه .

فلما مر بالمولاة وقد قام رسول الله عليه السلام فرجع إلى بيته قالت لحمزة: (واذلاه يابنى عبد مناف ، يا أبا عمارة ، لو رأيت مالقى ابن أخيك (محمد)

آنفا من أبى الحكم بن هشام . . قد وجده ها هنا جالساً ، فآذاه وسبه ، وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم) فاشتد بحمزة الغضب . . ماذا فعل محمد حتى يلقى كل هذا ؟ أو ليس يدعوهم إلى خير ما فى هذه الحياة وما بعدها ؟ مالهم ينالون منه أشد النيل ؟ ألا إن هذا الأمر لحق ، وخرج يسعى ولم يقف على أحد معدا ـ لأبى جهل ـ إذا لقيه أن يوقع به ، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً فى القوم ، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس ، فضربه بها فشجه شجة منكرة ، ثم صاح فيه : (أتشتمه ؟ فأنا على دينه أقول ما يقول ، فرد ذلك على إن استطعت) . فقامت رجال بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل .

وهنا يقف (حمزة) وقفة الرئبال مستعدا للنزال ، فصاحوا فيه جميعاً : (ما نراك ياحمزة إلا قد صبأت) ، فقال حمزة : (وما يمنعنى وقد استبان لى منه ذلك ، أنا أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الذى يقول الحق، فوالله لا أنزع فامنعونى إن كنتم صادقين) فقال أبو جهل : (دعوا أبا عماره فإنى والله قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً) . وثبت حمزة رضى الله عنه على إسلامه .

اسلام حمزة :

وهكذا أعلن حمزة بن عبد المطلب إسلامه فى لحظة اشتدت فيها حاجة الإسلام إليه ، وقد أراد الله أن يكون دخوله الدين القيم على وجه من الشهامة يكشف لنا عن الكثير من نواحى الجمال فى نفسه ، فقد كانت نفسه كما قلنا تهوى إلى (محمد) وما يدعو إليه منذ زمن طويل ، وقرر فى نفسه أن يكون إلى جانبه يدفع عنه بنفسه لو فكرت قريش فى مدافعته وأذاه . . وقد كان يرى قريشاً تتخوف (محمداً) وتحاول صده عن دعواه بالمناقشة تارة وبالعنف تارة أخرى ، ولكن أن يبلغ العنف الحد من أحمق جلف كأبى جهل فهذا

مالابد أن يتصدى له (حمزة) على هـــذا النحو العنيف ، ليرد (أبا جهل) إلى صوابه .

وبعض المؤرخين[1] يعلل سكوت أبى جهل على ذلك وكف المخزومين عن التعرض لحمزة بأكثر من علة . . فلعله رأى فى عينى حمزة من الغضب والأهبة لرد العدوان ما أخافه وأرهبه ، ولعله أدرك أنه ربما استطارت بين قريش نيران خصومة لا يأمن أبو جهل وأمثاله مصيرهم فيها ، ففضل السكوت على مضض .. ولعلها صحوة من ضميره بعثت فى نفسه الندم على ما أفحش فى الكلام مع (محمـــد) وتحامل (محمد) عليه وسكوته عنه قد حفزته على السكوت .

ثم رجع (حمزة) إلى بيته وخلا إلى نفسه ، فأخذ يفكر تفكيرا عميقاً .. ويمر الليل عليه ولم يذق فيه للنوم طعما . . وها هوذا الشيطان يحدثه (أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابىء وتركت دين آبائك . . للموت خير لك مما صنعت) ، فأقبل حمزة على نفسه يقول : (ما صنعت . ؟ اللهم إن كان رشدا فاجعل تصديقه فى قلبى وإلا فاجعل لى مما وقعت فيه مخرجا) ثم حدثته نفسه مرة أخرى : (أن عند صاحب الدين المثوبة الصادقة فى أمره) ، وأتى الكعبة وتضرع الى الله سبحانه أن يشرح صدره للحق ويذهب عنه الريب ، فما أتم دعاءه حتى أزاح الله عنه الباطل وامتلأ قلبه يقيناً ، وغدا على رسول الله عليه السلام فى (دار الأرقم) حيث كان يجتمع برفاقه فى هذا البيت الخالد ، وأقبل عليه خاشعاً يقول : (يابن أخى ، إنى قد وقعت فى أمر ولا أعرف المخرج منه ، فحدثنى حديثاً ، فقد اشتهيت يابن أخى أن تحدثنى) وأقبل عليه رسول الله صلى

---

(١) الدكتور حسين مؤنس فى كتابه (صور من البطولة) .

الله عليه وسلم فذكره ووعظه وخوفه وبشره .. سمع حمزة وبكى . . بكى الأسد الهصور . . .

حقاً إن هذا القرآن لينزل على الكائنات فتخشع وتسجد ، ولقد سجد (حمزة) وآمن وصاح : (أشهد أنك صادق شهادة الصدق ، فأظهر يابن أخى ـ دينك فوالله ما أحب أن لى ما أظلته السماء وأنا على دينى الأول) .

وهكذا بايع (حمزة) رسول الله عليه السلام بقلب صاف كريم وجنان ثابت ، وعاهده على أن يكون نصيره ما عاش . . آمن حمزة بحقيقة تلك الدعوة الجديدة ، تلك الحقيقة التى كانت كلها جداً وقوة وصراحة ، وكانت دعوة عن الانصراف عن حياة قريش الناعمة المترفة . . آمنت النفس الكبيرة وإيمان النفس يتسامى على كل مايقف فى وجهها من عقبات ، فلا تلقاها إلا صغائر وتوافه . . وقد قال حمزة حين أسلم أبياتا منها :

حمدت الله حين هدى فؤادى ... إلى الإسلام والدين الحنيف
لدين جاء من رب عزيز ... خبير بالعباد بهم لطيف
إذا تليت رسائله علينا ... تحدر دمع ذى اللب الحصيف
رسائل جاء أحمد من هداها ... بآيات مبينة الحروف

آثار اسلام حمزة :

أسلم حمزة وعرفت قريش أن رسول الله قد عز وامتنع ، وبدأت قلوب بنى عبد المطلب تهوى إلى (محمد) وتطالع بقية قريش بالعداوة ، ولم يخرج عن إجماعها فى تأييد محمد ونصرته إلا أبو لهب (عبد العزى) فقد كان لضيق عقله وصدره يقول : (يعدنى محمد أشياء لا أراها يزعم أنها كائنة بعد الموت فما وضع فى يدى بعد ذلك ؟ ثم ينفخ فى يديه ويقول : (تباً لكما ما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد) وكان يسعده أن تخدعه امرأة مثل (هند بنت عتبة بن ربيعة)

حين تؤكد له أنه نصر اللات والعزى بهذا الجهل ..

وقد علمت قريش أن حمزة سيمنع الرسول الكريم فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه ..

وبدأ سادتهم يتمثلون الخطر الذى يدهمهم بعد إسلام (حمزة) وما رأوا من أمثاله من الشباب الأنوف الزاهر الذى حفلت به الدعوة المحمدية ولم يعد فى استطاعتهم أن يستصغروا أمر (محمد) أو أن يعتدوا عليه بالسخرية والمهانة كما كانوا يفعلون ، ففكروا فى عرض يعرضونه عليه ، فأرسلوا (عتبة بن ربيعة) إلى النبى عليه السلام يعرضون عليه المال والملك ويعرضون عليه القوة والسلطان على أن يتخلى عن دعوته ... ولكن ما فتن هذا كله رسول الله وقد أوتى مفاتيح كل شىء ، بل كان هؤلاء الرسل من قريش لا يكادون يلقون (محمداً) حتى تهوى نفوسهم إليه ، ويعودوا إلى قومهم وبهم شبه السحر ، كما حدث مع عتبة الذى عاد من عند رسول الله مفتوناً أو يكاد .... يرجو قريشاً أن تخلى بين محمد وبين مايريد فكان جوابهم : (سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه) فما كان من عتبة إلا أن قال : (هذا رأيى فيه فاصنعوا ما بدا لكم) .

ولكن (بنى عبد الدار) لم يكن ليرضيهم هذا ، إذ كانوا سادة فى قريش ينفسون على (بنى عبد المطلب) ماعسى أن يبلغوه من علو المكانة بهذا الفتى الذى نبغ فيهم ، فجعلوا يجمعون صفوفهم ، ويؤلبون من استطاعوا من بطون قريش ، ومضوا يجادلون (محمداً) يريدون أن يصرفوا الناس عنه بالمنطق كما كسبهم هو إلى دعوته بالمنطق ، فلم يفلحوا ، إذ أخذوا يطالبونه بمطالب تدل على شدة تعنتهم ، فهى مطالب عباد المادة عباد الأصنام .

كل هذا والفتى (حمزة) يفنى فى دين الله وقريش ترهبه وتخشاه ويعلن هو دينه فى كل مكان ، ولكنه فوق هذا حمل جانباً من المقاومة السلبية التى

قاومتهـــا قريش لبعض أصحاب رسول الله عليه السلام ، أما المقاومة الإيجابية المستمرة ، فلم يصل إلى حمزة منها شيء ، فقد كان أعز من أن تصيبه قريش بسيء منها .

موقف حمزة يوم اسلام عمر :

وكان (عمر بن الخطاب) قد فكر — قبل إسلامه — فى قتل الرسول عليه السلام وذهب إلى أخته ، وأسلم على يديهـــا ، ثم ذهب الى الرسول الكريم فى (دار الأرقم) متوشحاً سيفه وضرب على الباب ، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله فنظر من خلل الباب ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو فزع — فقال : يارسول الله ، هذا عمر بن الخطاب متوشحاً سيفه ! ولما لم يجترىء أحد على أن يفتح له لما قد علموا من شدته على رسول الله عليه السلام قام حمزة بن عبد المطلب قائلا : (فأذن له ، فإن جاء يريد خيراً بذلناه له ، وإن جاء يريد شراً قتلناه بسيفه) .

ما عاد حمزة يخشى شيئاً فى دين الله فليحاربه قومه أو فليحارب هو قومه ، إن غايته الله ونصرة رسوله — وقد أسلم عمر رضى الله عنه فى السنة السادسة من النبوة بعد إسلام حمزة رضى الله عنه بثلاثة أيام من ذى الحجة .

انتصار الاسلام بحمزة وعمر :

ولقد كان حمزة وعمر درعى (محمد) يردان عنه الباغى ويكسران شرة المسيء وتطاول السفيه ، وهذا عمر رضى الله عنه يقول ـ حين أسلم ـ لرسول الله : (ألسنا على حق إن متنا أو حيينا ؟) قال : (بلى ، والذى نفسى بيده إنكم لعلى الحق إن متم وإن حييتم) فقال عمر : (ففيم الاختفاء ؟ والذى بعثك بالحق لتخرجن) .

وخرج عليه السلام فى صفين : حمزة فى أحدهما وعمر فى الآخر ولهم كديد

كـكديد الطحين حتى دخلوا المسجد ، فنظرت قريش إلى حمزة وعمر فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها قط ، وكان الرسول عليه السلام ـ على ما يبدو ـ قد رأى أنه قد آن الأوان للإعلان ، وأن الدعوة التى كانت كالوليد الضعيف الذى لا يد له من الرعاية والحفظ قد غدت قوية تدرج وتمشى وتستطيع أن تدفع عن نفسها ، فأذن فى الإعلان .

ويقول (هوبر) فى الجزء الثانى من حياة محمد : (إن حمزة وعمر أسلما فى السنة السادسة من النبوة ، وقال : إن المسلمين لم يعودوا يخفون صلاتهم فى منازلهم ، بل كانوا بعدئذ يجتمعون حول الكعبة ويصلون وهم آمنون مطمئنون) .

ولما أظهر الرسول الكريم الإسلام ومن معه وفشا أمره بمكة ودعا بعضهم بعضاً ، فكان أبو بكر يدعو ناحيته سراً ، وكذلك عثمان بن عفان وسعيد بن زيد ، وكان حمزة يدعو علانية ومثله عمر وأبو عبيدة بن الجراح فغضبت قريش وظهر منهم لرسول الله عليه السلام الحسد والبغى ، بل كان إسلام حمزة وعمر مع ما رأته قريش من أصحاب الرسول عليه السلام قد أصابوا أمناً وقراراً بالحبشة وأن النجاشى قد منع من لجأ إليه منهم وما كان لذلك من انتشار الإسلام فى القبائل — كان كل أولئك حافزاً لهم على أن ينفذوا آخر ما فى جعبتهم ، فكان تآمرهم على حصار المسلمين ومقاطعتهم حتى يسلموا رسول الله للقتل ، ثم كان ما نعرف من أمر الصحيفة التى تعهدوا فيها بذلك ، وعلقوها فى الكعبة توكيداً لأنفسهم ، وقد أقام المسلمون على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا ، ولكن الله أيدهم ، وفك أسارهم .

وهكذا كان أثر إسلام حمزة وعمر حتى أنه حين اشتكى (أبو طالب) وبلغ قريشاً ثقل المرض عليه قالت بعضها لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما وقد

فشا أمر (محمد) فى قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبى طالب ، فليأخذ لنا على ابن أخيه ، وليعطه منا ، والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا ويغلمونا عليه .

وأخيراً ردهم خوفهم من سيف (حمزة وعمر) إلى العقل ، فظلت قريش لا تجرؤ على مهاجمة المسلمين هجوماً مسلحاً عنيفاً ، ولم تكد تدرك منهم على شدة اللدد أمراً ذا بال .

الهجرة الى المدينة .

وكان لا بد للدعوة أن تنتشر فى الأرض وقد هاجر قوم بدينهم إلى بلاد الحبشة ، وتاريخ هذا الدين عجيب نادر كلما حاربه قوم تلقفه آخرون ، فكان له على الدوام عوامل القوة والفيض ... وها هى ذى مكة تقاومه فيسعى إلى يثرب .. وقد هاجر إليها المسلمون أرسالا وجماعات ، فكان (حمزة وعمر) من آخر المهاجرين هجرة ، فقد نصبا نفسيهما درعين لإخوانهما فى الدين فلما هاجر حمزة رضى الله عنه آخى رسول الله عليه السلام بينه وبين مولاه « زيد بن حارثة » ، فكان حمزة فخورا أبدا بأخيه هذا ، وهذه آية من آيات الإسلام ، فلقد رضى الشريف القرشى مؤاخاة العبد الرقيق ، لأن الإسلام قد محا تلك الفروق ، وأزال نوازغ الجهل والعصبية من القلوب ، وصارا أخوين حبيبين فى الله حتى قد أوصى حمزة لزيد بن حارثة مولى رسول الله يوم « أحد » حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت .

ولقد هجر « حمزة » فى مكة تلك المجالس التى قضى فيها ميعة صباه وتلك الأودية والآكام التى عاش فيها لاهيا مترفا ونزل فى المدينة فقيراً لا يملك من الحياة شيئاً غير إيمانه[1] ، أجل ترك فى مكة أمواله وأملاكه ، وأصبح كلا

---

(١) الدكتور على سامى النشار فى كتابه (شهداء الإسلام فى عهد النبوة)

على الأنصار الذين آثروا هؤلاء المهاجرين على أنفسهم ، ولـكن سيد قريش يأبى أن يكون عبئاً على أحد والمسبغة تؤلمه ، فيسعى إلى رسول الله يطلب منه أن يجد له ما يقتات به . . وعاش حمزة فى المدينة حياة جدباء من لذائذ الحياة ولـكنها مملوءة بالتقوى والإيمان حتى أذن الله للمسلمين فى القتال ، وهنا وجد الرسول عليه السلام أن الفرصة قد حانت ليبدأ مع قريش ذلك الصراع العنيف الذى انتهى بنصر الإسلام واستقرار أمره فى الجزيرة العربية كلها .

بعث حمزة :

وهنا سنحت الفرصة كذلك لحمزة رضى الله عنه — للعمل وهو الجندى ذو البأس الذى لا يرهب النزال والمحارب ذو الحيلة والبصر بشئون القتال وكان رسول الله عليه السلام — أول الناس تفطنا إلى ملـكات حمزة واقتداره فعهد إليه فى قيادة أول بعث إسلامى حربى فـكان حمزة بهذا أول قائد مسلم .

عقد رسول الله أول راية فى الإسلام لفارس قريش « حمزة » فى شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من الهجرة عام « ٦٢٣ م » وأمره على بعث صغير من ثلاثين راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد ، وسيرهم لـكى يلقوا بعثا تجاريا لقريش كان عائدا من الشام .

بعث رسول الله « عمه حمزة » فى هذا البعث ليلقى رأس المعاندين « أبا جهل بن هشام » عند « العيص » من شاطىء البحر فى بلاد جهينة فلقى أباجهل بذلك الساحل فى ثلثمائة راكب من أهل مكة . . وتصاف الفريقان للقتال ، فلم يكن حمزة ذلك الذى يخشى هذا العدد الـكبير من قريش أيا كان العدد الذى معه قليلا . . ولـكن حجز بينهم « مجدى بن عمرو الجهنى » وكان مصالحا للفريقين ، فانصرف القوم بغير قتال . .

ويبدو أن الرسول عليه السلام كان يرمى من وراء هذا البعث إلى مجرد

الاستطلاع وإشعار الأعداء بقوة المسلمين وتأهبهم لنضال خصومهم ، ولو كان رسول الله قد عهد إلى حمزة فى القتال ولم يقاتل لسأله فى ذلك ، ولكن الرسول لم يسأله مما يدل على أن حمزة قام بالمهمة التى خرج من أجلها . . وليس ذلك بعجيب ، فقد تكرر ذلك من النبى عليه السلام وذلك فى الغد من يوم « أحد » لست عشرة ليلة خلت من شوال ، فقد أذن مؤذن رسول الله فى الناس يطلب العدو ، ثم أذن المؤذن ألا يخرجن معهم إلا من حضر يومهم بالأمس ، وقد خرج رسول الله عليه السلام مرهبا للعدو أنهم قد خرجوا فى طلبهم ، فيظنون أن بهم قوة وأن الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم .

وفى هذا البعث الأول فى الإسلام وقفة عظيمة من مواقف (حمزة) رضى الله عنه ، فإنه ليعلم أن عدوه عشرة أمثاله ولكن لم يصرفه هذا عن غايته . وقد قال حمزة فى ذلك شعراً يذكر فيه أن رايته أول راية عقدها رسول الله عليه السلام ومنه :

فما برحوا حتى ابتدرت لغارة ... لهم حيث حلوا ابتغى راحة الفضل
بأمر رسول الله أول خافق ... عليه لواء لم يكن لاح من قبلى
لواء لديه النصر من ذى كرامة ... إله عزيز فعله أفضل الفعل
فلما تراءينا أناخوا فعقلوا ... مطايا وعقلنا مدى غرض النبل (١)
فقلنا لهم حبل الإله نصيرنا ... وما لكم إلا الضلالة من حبل
فثار (أبو جهل) هنالك باغياً ... فخاب ورد الله كيد أبى جهل
وما نحن إلا فى ثلاثين راكباً ... وهم مائتان بعد واحدة فضل
فيا للؤى لا تطيعوا غواتكم ... وفيئوا الى الإسلام والمنهج السهل (٢)

---

(١) مدى غرض النبل : أناخوا متقاربين فكانت المسافة بينهم مرمى النبل.
(٢) فيئوا : ارجعوا — المنهج : الطريق الواضح.

فإنى أخاف أن يصب عليكم عذاب فتدعوا بالندامة والثكل[1]

أول الغزوات حمل لواءها حمزة :

ثم كانت أول المغازى التى خرج فيها رسول الله عليه السلام بنفسه هى غزوة (ودان) وبعضهم يسميها غزوة (الأبواء) لأنهما متقاربتان فى (وادى الفرع) خرج اليها رسول الله فى صفر على رأى اثنى عشر شهراً من الهجرة عام (٦٢٣ م) يريد عيرا لقريش وبنى ضمرة وقيل . انه عليه السلام انما أراد عير قريش ، فلما لقى بنى ضمره عقد بينه وبينهم صلحاً ، وكان خروجه فى ستين راكبا ليس فيهم أنصارى ، ولكنه لم يدرك العير التى أراد ،وكان لواؤه أبيض ، وكان مع عمه (حمزة) رضى الله عنه لما يعرفه النبى الأمين من بسالة عمه وايمانه وأنه لابد أن يكون رفيقه فى أول غزواته .

وكان هذا هو الشأن فى غزوة (العشيرة) التى خرج فيها رسول الله عليه السلام فى جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهراً من الهجرة عام (٦٢٣ م) فقد حمل اللواء فيها (حمزة بن عبد المطلب) أيضاً وكان اللواء أبيض ، وقد خرج فى خمسين ومائة من المهاجرين يعترض لعير قريش حين رجعت من الشام ، فساحلت على البحر ، وبلغ قريشا خبرها ، فخرجوا يمنعونها ، فلقوا رسول الله (ببدر) ، فواقعهم ، وقتل منهم من قتل ، وكانت قريش قد جمعت أموالها فى تلك العير فكان فيها خمسون ألف دينار وألف بعير ، وكان قائدها (أبا سفيان بن حرب) ومعه تسعة وثلاثون رجلا منهم عمرو بن العاص وكانت هذه الغزوة بين غزوة (بدر الأولى) وغزوة (بدر الثانية) أو الكبرى مما يومىء إلى جهاد (حمزة) فى الإسلام وأنه كان موصولا .

---

(١) الثكل : الفقد والحزن.

غزوة بدر الكبرى :

ثم كانت أيام (بدر الكبرى) ، ووقف الإسلام وجها لوجه أمام الشرك فى أولى معاركه العظمى ، وكانت قريش لاتزال فى غيها تحسب (محمداً) وأصحابه طائفة يسيرة لاتلبث أن تتفرق إذا حملت عليها قريش حملة رجل واحد ، وكان (أبو جهل) حين وقف يصر على القتال ويهون على قريش أمر المسلمين لايشك فى أنهم فئة قليلة مستضعفة لاتملك الثبات أمام صناديد العرب. فهذا (أبو سفيان) كان من رأيه الرجوع لنجاة عير قريش وأموالها ، ولكن (أبا جهل) ظل مصمما على الحرب وقال له : (والله لا نرجع حتى نرد بدرا) وكانت بدر موسما من مواسم العرب تجتمع لهم بها سوق كل عام ، فتقيم بها ثلاثا ، فتنحر الجزور ، وتطعم الطعام ، وتعزف علينا القيان فتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا ..

وكان كلما حاول أحد من أحلافه أن يبصره بخطورة الموقف زاد إصراره ومضى يلح فى العداوة ساخراً من المسلمين ومن محمد عليه السلام (لا يكاد يقيم لهم وزنا أو يخشى لهم أمراً كما كان من أمر عتبة مع أبى جهل حين رأى عتبة الرجوع فرماه أبو جهل بالجبن) .

فلما كان اللقاء فى يوم الجمعة السابع عشر من رمضان على رأس تسعة عشر شهراً من الهجرة عام (٦٢٤ م) ألقت مكة بأفلاذ أكبادها فى حومة الوغى كما قال رسول الله ، ووقف رجال من قريش وأحلافها ، كل منهم سيد قومه ، ولم يكن أحد فى الجزيرة ليجرؤ على أن يخالف لهؤلاء الفحول أمراً .

وقف عتبة بن ربيعة ، وشيبه بن ربيعة وأبو البخترى بن هشام وحكيم ابن خزام ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدى بن

نوفل والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف وسهيل بن حجر ومن إليهم .

ووقف أمامهم شباب المؤمنين ممن كانوا بالأمس القريب لا يجرءون على خلاف أمر لواحد من هؤلاء الشيوخ ، ولكن الإيمان ملأ قلوبهم ، فأحالهم أسوداً لا يكاد يثبت أمامهم أحد .

حمزة بطل بدر :

وأصبح الصباح وعدل النبي عليه السلام صفوف أصحابه ، وأقبلت قريش وحين رآها النبي صلوات الله عليه قال : (اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى) .

وخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومى من صفوف المشركين ، وكان رجلا شرسا سيء الخلق وقال يسخر من المسلمين وقد بنوا حوضا : (أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه) وكان الحوض من وراء المسلمين ويحسب أن أحدا منهم لن يجرؤ على الوقوف فى سبيله وأنه سيخترق صفوفهم آمنا أو كالآمن .. فما هو إلا أن برز من الصفوف حتى تقدم (حمزة) وضربه بالسيف ضربة قطعت ساقه وهو دون الحوض ، فوقع على الأرض تشخب ساقه دما . . وبلغ به العتو أن أراد الزحف برغم ذلك حتى يصل إلى الحوض ليهدمه ويبر بيمينه ، فلم يمهله (حمزة) بل أتبعه فضربه حتى أجهز عليه فى الحوض ، كل ذلك والمشركون ينظرون ذاهلين من جرأة هذا البطل ، وقد بدأوا يفهمون أن الأمر جد خالص لا هزل فيه ، وعلم (أبو جهل) أن المسألة ليست كما كان يظن : إقامة بهيجة بين طعام وشراب وعزف وقيان . .

وهنا كانت المبارزة بل معمعان الموت ، فخرج عتبة بن ربيعة سيد قريش بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة حتى انفصل من الصف ، ودعا إلى

المبارزة ، فخرج إليه فتيـة الأنصار وهم (عوف ومعاذ) ابنا الحارث الأنصاريان وعبد الله بن رواحة الأنصارى ، فرفضوا مبارزتهم فى شىء من الصلف ، وأبوا أن يبارزوا إلا قرشيين ، ونادى مناديهم (يا محمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا) ، فندب رسول الله عليه السلام (عبيدة بن الحارث وحمزة ابن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب) فبرزوا إليهم : فبارز عبيدة — وكان أسن المسلمين — عتبة — وكان أسن الثلاثة — وبارز حمزة شيبة ، وبارز على الوليد ابن عتبة . فأما على فلم ينبث أن قتل الوليد ، ولم يكد شيبة يتقدم من حمزة حتى ضربه حمزة فأجهز عليه ، ثم التفت إلى صاحبه (عبيدة) وقد ثبت له (عتبة) ، فكر حمزة وعلى بسيفهما على عتبة فأجهزا عليه ، وهكذا كان الموت يزحف خلال الصفوف — وبهذا عدمت قريش ثلاثة من أنجادها فى بعض ساعة ، وزاد أمرها حرجا .

ثم تزاحف الجمعان ، واستمرت المعركة وصارت هولا مقيما ، وتصايح الرجال واختلطت الأصوات وهجم المسلمون هجمـة المؤمن الصادق ، وكان (حمزة) قد علم نفسه بريشة نعامة ثبتها فى صدره ، وكان طوال الموقعة كالعلم الأشم والأسد الضارى لا يكاد يثبت فى مكان . . ولا يرى أحدا من كبار المشركين إلا انقض عليه انقضاض الصاعقة ، فيفتك به ولا يرى واحداً من إخوانه المسلمين إلا خف لنجدته وأعانه على عدوه : فهذا على بن أبى طالب يقول : رأيت طعيمة قد علا رأس كثيب يوم (بدر) وقد ساواه (سعد بن خيثمة) فصمدت له ولم آته حتى قتل (سعد) ، فلما رآنى أصعد الكثيب إليه انحط على — وكان رجلا جسيما فخشيت أن يعلو على ، فانحططت فى السهل ، فظن أنى فررت منه ، فصاح بأعلى صوته : فر على بن أبى طالب ، وكنت أخادعه لآخذه على غرة ، فلما استوت قدماى بالأرض وقفت له ، فانحدر إلى وأهويت اليه ، فسمعت قائلا يقول من خلفى يقول (طأطىء رأسك ، فجعلت

رأسى فى صدر طعيمة وإذا برقة من السيف أخذت قحف (طعيمة) فسقط ميتا وإذا بالقاتل (حمزة بن عبد المطلب) .

وهكذا روع حمزة المشركين بنجدته ، وأوقع الرعب فى صناديد قريش ، فاختلط حابلهم بنابلهم وولوا الأدبار .

وكان أمية بن خلف وابنه على بن أمية قد أسرهما عبد الرحمن بن عوف واقتادهما الى صفوف المسلمين وأنه لسائر بينهما إذ سأله أمية (من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة فى صدره ، فقال عبد الرحمن : (ذلك حمزة بن عبد المطلب) فقال أمية : (ذلك الذى فعل بنا الأفاعيل) وعادت قريش بالخزى والعار ومناديهم ينادى : (لقد أذل حمزة بن عبد المطلب شرفكم ووضع من قدركم وجعلكم الأذلة المستعبدين فى الأرض ، مات بيديه صفوة رجالكم وأصحاب الصدارة فى منتدياتكم ، فيالثارات قريش ! ويا للأحقاد الكامنة !)

وفى تلك الآونة كان حمزة رضى الله عنه يعود إلى يثرب تحت لواء الرسول خاشعا مطرقا .. وقد كان (بطل يوم بدر) الذى أفنى فيه سادة قريش ومنهم حنظلة بن أبى سفيان بن حرب وشيبة بن ربيعة بن عبد شمس وطعيمة بن عدى بن نوفل وزمعة بن الأسود ابن عبد المطلب بن أسد وعقيل بن الأسود بن عبد المطلب وأبو قيس بن الوليد بن المغير ونبيه بن الحجاج بن عامر ثم عائذ بن السائب بن عويمر الذى جرحه حمزة جرحا بالغا فمات من جراحه .

وانقضى (يوم بدر) بنصر حافل للاسلام وأهله ، ودخل فى دور التوسع ، وانصرف من بقى من المشركين الى مكة وهم يشعرون أن يوم قريش قد دنا وأن جماعة فيها أسود من طراز (حمزة وعلى) لن تغلب على أمرها أبدا ، وقد أنزل الله عز وجل فى (يوم بدر) من القرآن الكريم سورة الأنفال

بأسرها ، وهذا ما قاله حمزة بن عبد المطلب يرحمه الله عن يوم بدر وأسر المشركين فيه .

عشية راحوا نحو (بدر) بجمعهم … فكانوا رهونا للركية من بدر [1]
وكنا طلبنا العير لم نبغ غيرها … فساروا إلينا فالتقينا على قدر
فلما التقينا لم تكن مثنوية … لنا غير طعن بالمثقفة السمر [2]
وضرب ببيض يختلي الهام حدها … مشهرة الألوان بينة الأثر [3]
ونحن تركنا (عتبة) الغى ثاويا … و (شيبة) فى القتلى تجرجم فى الجفر [4]
(وعمرو) ثوى فيمن ثوى من حماتهم … فشقت جيوب النائحات على عمرو
جيوب نساء من لؤى بن غالب … كرام تفرعن الذوائب من فهر [5]
أولئك قوم قتلوا فى ضلالهم … وخلوا لواء غير محتضر النصر
فكانوا غداة البئر (ألفا) وجمعنا … (ثلاث مئين) كالمسدمة الزهر [6]
وفينا جنود الله حين يمدنا … بهم فى مقام ثم مستوضح الذكر
فشد بهم (جبريل) تحت لوائنا … لدى مأزق فيه مناياهم تجرى

هند بنت عتبة تبكى أباها :

وحين تحققت قريش خبر هزيمتهم وما أصابهم من قتل وأسر ناحت على قتلاها شهوراً ، وجزت النساء شعورهن، ثم اتفقوا على عدم الاسترسال فى الجزع لئلا يشمت بهم المسلمون إلا (هند بنت عتبة) فقد ملأت الدنيا أسى وحسرة

---

(١) الرهون : جمع رهن . الركية : البئر غير المطوية .
(٢) مثنوية : أى رجوع وانصراف . المثقفة : الرماح المقومة .
(٣) يختلى : يقطع . الهام : الرؤوس . الأثر : (بضم الهمزة) : وشى السيف وفرنده
(٤) ثاوياً : مقيما . تجرجم : تسقط . الجفر : البئر المتسعة
(٥) تفرعن : علون . الذوائب : الأعالى .
(٦) المسدمة : الفحول من الإبل . الزهر : البيض .

obeikandi.com

على أبيها وعمها وأخيها ، وهاهى ذى تشهد (سوق عكاظ) وتعلن تفجعها وأنها أعظم العرب مصيبة ، فتسألها الخنساء وكانت تقول على نفسها مثل ذلك : من أنت يا أخية ؟ فتقول : أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة وقد بلغنى أنك تعاظمين العرب بمصيبتك فبم تعاظمينهم ؟ قالت الخنساء : بعمرو بن الشريد وصخر ومعاوية ابنى عمر ، وبم تعاظمينهم أنت ؟ قالت بأبى عتبة بن ربيعة وعمى شيبة بن ربيعة وأخى الوليد ، قالت الخنساء أو سواء هم عندك؟ ثم أنشدت شعراً ردت عليه هند بقولها :

أبكى عميد الأبطحين كليهما ... وحاميهما من كل باغ يريدها
أبى عتبة الخيرات ويحك فاعلمى ... وشيبة والحامى الذمار وليدها
أولئك آل المجد من آل غالب ... وفى العز منها حين ينمى عديدها

ولها فى بكاء والدها عتبة شعر دام حزين منه :

أعينى جودا بدمع سرب ... على خير خندف لم ينقلب
تداعى له هطله غدوة ... بنو هاشم وبنو المطلب
يذيقونه حد أسيافهم ... يعلونه بعد ما قد عطب
يجرونه وعفير التراب ... على وجهه عاريا قد سلب
وكان لنا جبلا راسيا ... جميل المراة كثير العشب [1]

وقد حرصنا على أن نورد هذه المراثى فى (عتبة وذويه) لنعلم أقدار هؤلاء الذين أرداهم (حمزة) ومكانتهم فى قومهم وعظم الفجيعة فيهم ، وكذلك لما كان لجروح (هند) الغائرة على فقد أبيها من أثر فى نقمتها على (بطل بدر) رضى الله عنه كما سنرى .

---

(١) جميل المراة ، أرادت مرآة العين فنقلت حركة الهمزة الساكن فذهبت الهمزة .

حمزة فى غزوة بنى قينقاع :

فإذا كان شوال من السنة الثانية للهجرة (٦٢٤م) وقعت غزوة (بنى قينقاع) ذلك الشعب اليهودى الذى دعاه رسول الله إلى الإسلام وإلى الاعتراف بنبوته عليه السلام لأنهم يجدونها فى كتابهم لكنهم مع ذلك ومع قلة عددهم وإقامتهم مع المسلمين فى المدنية نفسها ـ أغلظوا له عليه السلام الجواب وادعوا الشجاعة وكانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد فمن يكون لهؤلاء الغلاظ الرقاب غير (أسد الله وأسد رسوله) فحمل اللواء حمزة وكان ما كان من حصارهم خمس عشر ليلة ، وأخيراً أخرجوا من المدينة على أن تكون لهم النساء والذرية وللنبى عليه السلام بقية الأموال والسلاح ـ وصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ على ذلك .

الاستعداد لغزوة أحد:

ونعود إلى قريش لنراها وقد انطوت على نفسها تكتوى على أضالعها بحر المصيبة وقد تجلد رجالها ونساؤها تجلداً يبعث على العجب ، وظلوا على مضض يجالدون الألم ويمنون النفس بالثأر القريب ، وأسر من أسر ، وذلت القبيلة العزيزة بأسرها ذلا لم يكن ليخطر لأحد من رجالها على بال حتى مات بعضها كيداً وحسرة . وسكتت ريح قريش برهة وإن قلوب أهلها ليعصف بها الثأر وقد عرف رجالها نفراً من المسلمين ممن أبلوا البلاء العظيم (يوم بدر) فجعلوا يترصدون بهم الأيام ، ولم يبلغ حقدهم على أحد مبلغه على (حمزة أسد الله وأسد رسوله) بطل بدر الذى فعل بقريش ورجالها الأفاعيل ، كما قال أمية ابن خلف .

وجعلت قريش تستعد ليوم تبلغ فيه ثأرها ، وجعل رجالتها يمشى بعضهم إلى بعض يدبرون لهذا الأمر عدته وجمعوا أموالا جسيمة حتى لم يعد أحد منهم

رجلا كان أو امرأة ـ إلا أسهم فى العدة بنفسه أو بماله وخرج رجالهم وكماتهم وخلفهم الظعائن يشددن أزرهم . ويحرضنهم على القتال ثأراً لمن لقى مصرعه فى (بدر) من أزواجهن أو أبنائهن أو إخوتهن ؟ وكانت (هند بنت عتبة) أشد نساء قريش دعوة لهذا الثأر ، إذ لقى أبوها وأخواها مصارعهم فى (بدر) وكان حقدهـا مؤججاً على (حمزة) قاتل أخويها ، واستصحب أهل مكة من قدروا عليهم من أوليائهم من قبائل كنانة وتهامة ، ورصدوا بعضهم لقتل (حمزة) فلو قال قائل : إن نصف من خرج من المشركين كان يطلب ثأراً عند هذا البطل ما بالغ ، ولذا أحاطت به الأرصاد من كل ناحية .

غزوة احد :

ثم كان يوم أحد (جبل مشهور بالمدينة) فى شوال سنة ثلاث هجرية وكان أبو سفيان بن حرب قائد المشركين ، وكان عددهم ثلاثة آلاف فيهم سبع عشرة امرأة معهن الدفوف يبكين قتلى (بدر) يحمسن بذلك المشركين ، وقد كان فيهم (هند بنت عتبة بن أبى ربيعة) التى وقفت تحرض قريشاً على القتال بقولها :

نحن بنات طارق نمشى على النمارق[1]
مشى القطا البوارق والمسك فى المفارق
والدر فى المخانق إن تقبلوا تعانق
ونفـرش النمارق أو تدبروا نفارق
فـراق غـير وامق[2]

---

(١) النمارق : جمع نمرقة : وهى الوسادة الصغيرة .
(٢) الوامق : المحب .

وكذلك تقول :

ويها بنى عبد الدار . ويها حماة الأدبار[١] ضرباً بكل بتار[٢] .

ثم كان ما وقع فى (يوم أحد) من مخالفة رماة المسلمين لما قرره الرسول الأمين ورجاله من خطة للمعركة .. وكان مجموع الذين خرجوا للقتال مع رسول الله عليه السلام سبعمائة مسلم ، وكان خمسون رجلا منهم يرمون بالنبل يقودهم (عبد الله بن جبير) وقد وضعهم الرسول عليه السلام فى مخرم من مخارم (جبل أحد) ليحموا ظهور المسلمين من أن يفاجأهم المشركون من خلف .

وكان (حمزة) سيفاً من سيوف الله لا يلقى مشركا إلا صرعه فقد لقيه أرطاة بن عبدشرحبيل بن هاشم — أحد كماة بنى عبد الدار وأحد النفر الذين يحملون لواء قريش ، فقتله حمزة ، وكذلك قتل عثمان بن أبى طلحة حامل لواء قريش أيضاً ، وعرض له سباع بن عبد العزى الغبشانى ، فأجهز عليه ، ومضى على عهده يضرب بسيفه يمنة ويسرة والعيون له رصد ، وكل مشرك موتور يتسقط لحظة يغتاله فيها ، وكان جبير بن مطعم قد دعا غلامه الحبشى وحشياً — وكان عبداً يجيد رمى الحربة الطويلة قلما يخطىء بها شأن الأحباش — وقال له : اخرج مع الناس فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى ! فأنت حر لأن حمزة كما تعلم هو قاتل طعيمة يوم بدر .

مقتل حمزة رضى الله عنه :

وخرجت قريش بحدها وحديدها وجدها وأحابيشها ومن والاها من بنى كنانة وأهل تهامة ومعهم النساء التماس الحفيظة وألا يفروا ، وكانت هند بنت عتبة التى خرجت مع زوجها أبى سفيان بن حرب كلما مرت بالعبد

---

(١) حماة الأدبار : أى الذين يحمون أعقاب الناس.

(٢) البتار : القاطع .

الحبشي وحشي أو مر بها قالت له:(ويها أبا دسمة أشف وأشتف) تحرضه على قتل حمزة ، لأن قريشاً بجمعها عرفوا أنهم لن ينالوا منه منالا إذا ما واجهوه فى قتال إذن فليقتلوه غيلة .. » .

ولم يكد (حمزة) يفرغ من سباع بن عبد العزى حتى أمكنت العبد الحبشى الفرصة لصوب حربته نحوه ، وفى ذلك يقول « وحشى » فى مقتل (حمزة) والله إنى لأنظر إلى (حمزة) يهد الناس بسيفه ثاير الرأس ما يلقى شيء يمر به مثل الجمل الأورق ، إذ قد تقدمنى إليه « سباع » وهو يقول : ألا من مبارز ! فقال له حمزة « هلم يابن .... » وكانت أم « سباع » هذه ختانة بمكة ، ثم ضربه ضربة هائلة قتلته ، كنت كامناً تحت صخرة لا يرانى « حمزة » وهززت حربتى حتى إذا رضيت عنها دفعتها عليه فوقعت فى ثنيته « أسفل البطن » حتى خرجت من بين رجليه فنهض متثاقلا نحوى ، فغلب فوقع وتركته وإياها حتى مات ثم أتيته ، فأخذت حربتى ، ثم رجعت إلى المعسكر فقعدت فيه ولم يكن لى بغير « حمزة » حاجة ، وكان ذلك آخر العهد به إذ أن الحربة كانت قد تمكنت منه وسال دمه ، فلم يلبث أن تعثر ووقع على الأرض وأسلم روحه الطاهرة ، وانجلت المعركة عن هزيمة المسلمين . وقد أنزل الله جل شأنه فى هذه الغزوة من القرآن الكريم ـ ستين آية من سورة « آل عمران » .

هند تمثل بحمزة :

وخرجت «هند بنت عتبة » تبحث عن قاتل أخويها حتى إذا عثرت على جثمان « حمزة » الطاهر مثلت به شر تمثيل وذلك حين أقبلت مع النسوة اللاتى معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله عليه السلام يقطعن الآذان والأنوف حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خلاخل وقلائد ، وأعطت هند خلخالها وقلائدها وقرطها « وحشيا » غلام جبير بن مطعم فهو الذى قتل « حمزة » رضى الله عنه ، ثم بقرت عن كبد « سيد الشهداء » فلاكتها ،

فلم تستطع أن تسيغها ، فلفظتها ثم علت على صخرة مشرفة وصرخت بأعلى صوتها تقول :

نحن جزيناكم بيوم « بدر » والحرب بعد الحرب ذات سعر [١]
ما كان عن « عتبة » لى من صبر ولا أخى وعمه وبكرى
شفيت نفسى وقضيت نذرى شفيت « وحشى » غليل صدرى [٢]
فشكر « وحشى » على عمرى حتى ترم أعظمى فى قبرى [٣]

وكانت « هند » قد نذرت أن تمثل بحمزة رضى الله عنه وأن تشتفى من سخيمتها بأكل كبده إذا قتل وأمكنها الله منه ، فلما أتاح لها « وحشى » هذا قامت بهذه الوحشية البغيضة وفاء بنذرها وتخفيفا لسعار الحزن فى فؤادها ، وعادت تقول :

شفيت من (حمزة) نفسى بأحد حتى بقرت بطنه عن الكبد
أذهب عنى ذاك ما كنت أجد من لذعة الحزن الشديد المعتمد [٤]

أبو سفيان يمثل بحمزة :

وها هو ذا أبو سفيان بن حرب قد وقف يضرب فى شدق (حمزة بن عبد المطلب) رحمه ويقول : (ذق عقق) أى يا عاق . . وكان الحليس ابن زيان أخو بنى الحارث بن عبد مناة — وهو يومئذ سيد كنانة — يمر فى طريقه فرأى أبا سفيان يمثل هكذا بجثمان حمزة فقال : يا بنى كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون لحما (ميتا لا يقدر على الانتصار) . فيتجسم العار لأبى سفيان فيقول له : (ويحك ! اكتمها عنى ، فإنها كانت زلة) .

---

(١) السعر : (بضمتين وسكن للشعر) . الالتهاب .
(٢) الغليل : العطش أو حرارة الجوف .
(٣) ترم : تبلى وتتفتت .
(٤) اللذعة : ألم النار أو ما يشبه بها . المعتمد : القاصد المؤلم .

حزن الرسول على حمزة :

وقد خرج الرسول عليه السلام يلتمس عمه الشهيد ، فوجده ببطن الوادى على هذه الصورة المحزنة ، رأى رسول الله عمه ووزيره قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع أنفه وأذناه وقد كانت عليه (نمرة) إذا رفعت إلى رأسه بدت قدماه فغطوا قدميه بشىء من الشجر ، فقال عليه السلام : « لولا أن تحزن (صفية) وتكون سنة من بعدى لتركته حتى يكون فى بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم » .

فلما رأى المسلمون عميق حزن رسول الله عليه السلام وبالغ غيظه على من فعل بعمه ما فعل قالوا : (لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب) .

وبلغ الحزن برسول الله على عمه مداه — وهو الذى لاقى فى دعوته الألاقى وتحمل ألواناً هائلات من العذاب من عباد الطاغوت فما حزن ولا اغتم فقال فى أسى بالغ : لن أصاب بمثلك أبداً وما وقفت موقفاً قط أغيظ إلى من هذا) ثم يعود فيقول : (جاءنى جبريل فأخبرنى : أن (حمزة ابن عبد المطلب) مكتوب فى أهل السموات السبع (حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله) .

ولقد علم الله سبحانه مدى ما كان عليه رسوله الكريم من الألم القاهر وهذا هو الذى حفزه إلى الرغبة فى المثلة بقريش ، وسايره أصحابه فى ذلك ، فأوحى جل شأنه إلى رسوله عليه السلام قوله : « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » . فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر ونهى عن المثلة .

صفية وحزنها على حمزة :

ولم ينته النبي عليه صلوات الله من موقفه هـذا حتى أقبلت « صفية بنت عبد المطلب » لتنظر إلى « حمزة رضى الله عنه » وكان أخاها لأبيها وأمها فقال رسول عليه السلام لابنها « الزبير بن العوام » : القها فأرجعهـا لا ترى ما بأخيها ، فقال لها الزبير : يا أمه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعى : قالت : ولم وقد بلغنى أن قد مثل بأخى وذلك فى الله فمـا أرضانا بما كان من ذلك . . . ؟ لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله ، فلما جاء الزبير إلى رسول الله عليه السلام فأخبره بذلك قال : خل سبيلها ، فأتت حمزة فنظرت إليه فصلت عليه واسترجعت قالت : « إنا لله وإنا إليه راجعون » ، واستغفرت له ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة فغطى ببردة ، ثم صلى عليه ، فكبر سبع تكبيرات ، وكان يؤتى بالقتلى فيوضعون إلى « حمزة » فيصلى عليهم وعليه معهم ، ثم يرفعون ويترك « حمزة » ثم يجاء بغيرهم فيكبر عليهم سبعاً ـ حتى صلى عليه رسول الله يومئذ سبعين صـــلاة ، ثم أمر الرسول عليه السـلام بدفنه مع ابن أخته « عبد الله بن جحش » وكان قد مثل به كما مثل « بحمزة » إلا أنه لم يبقر عن كبده — وهو الذى قام بسريته المعروفة باسمه وفيها سمى « أمير المؤمنين » ، وهو الذى دعا حين كان بظاهر المدينة مع « سعد بن أبى وقاص » يستعدان ليوم « أحد » فقال : « اللهم ارزقنى غداً رجلا شديداً بأسه ، شديداً حرده أقاتله فيك ويقاتلنى ويأخذنى فيجدع أنفى وأذنى فإذا لقيته وقلت : ياعبد الله فيم جدع أنفك وأذنك فأقول : فيك وفى رسولك . . . قال (سعد) : صدقت » .

وقد وفى (عبد الله) أحسن الوفاء وفعل الله به ما دعا له بعد أن أبلى فى فى القتال أحسن البـلاء مع (أبى الحكم بن الأخنس بن شريق) فقتله هذا الأخير فمات (المجدع فى الله) كما كانوا يدعونه ، وعرف له النبى

عليه السلام كل هـذه المفاخر ، فأمر بدفنه مع خاله (حمزة) رضى الله عنه فى قبر واحد .

والآن وفى عالم لا ينتهى اجتمع الأحبة الذين عرفوا الحب .... تضحية وفداء لله ورسوله ، فكانوا فى الأرض الأوفياء المجـاهدين وكانوا فى الآخرة الشهداء الخالدين .

بكاء نساء الأنصار على حمزة

وعاد رسول الله عليه السلام إلى بيته بالمدينة فمر بدار من دور الأنصار من (بنى عبدالأشهل وظفر) فسمع البكاء والنواح على قتلاهم ؛ فذرفت عينا رسول الله عليه السلام فبكى ثم قال : لـكن (حمزة) لا بواكى له ، واستغفر له ، فسمع ذلك (سعد بن معاذ) فمشى إلى دار (بنى عبد الأشهل) وأتى بنسائهم فوقف معهن جميعا على باب رسول الله وقال : والله لا تبكين قتلى الأنصار حتى تبكين عم النبى صلوات الله عليه فإنه عليه السلام ذكر أنه لا بواكى له فوقفن يبكين ، فلما سمعهن رسول الله قال : ما هذا ؟ فأخبر بما فعلت الأنصار بنسائهم فاستغفر لهم وقال للنسوة : (ارجعن يرحمكن الله فقد آسيتن بأنفسكن) . . ثم قال للرجال : (رحم الله الأنصار فإن المواساة منهم ما عتمت لقديمة ، مروهن فلينصرفن) . . ثم قال عليه السلام (ما هـــذا أردت وما أحب النوح) ونهى عنه .

هذا هو حمزة :

هذا هو حمزة الذى وقف مع أصحابه من الأوس والخزرج يشيرون على رسول الله عليه السلام حين كره الخروج ـ للقتال ـ توجسا من رؤيا رآها ـ فقالوا له : (إننا نخشى يا رسول الله أن يظن بنا أعداؤنا أنا كرهنا الخروج إليهم جبنا عن لقائهم ، فيكون هذا جرأة منهم علينا وقد كنت (يوم بدر)

فى ثلثمائة رجل فأظفرك الله عليهم ونحن اليوم بشر كثير ، قد كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله به فقد ساقه الله إلينا فى ساحتنا) ووقف (حمزة) البطل الباسل وكان صائما يوم الجمعة ثم قال لرسول الله : (والذى أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاما حتى أجالدهم بسيفى) وخرج حمزة يوم السبت صائما ومات وهو صائم وكان قد خرج إلى (يوم أحد) ليعقد للإسلام مجداً جديداً ، ولكن الموت كان فى آثاره ، ورفعته الملائكة إلى السماء صائما عن الدنيا كلها .

أجل رفعت الملائكة حمزة إلى السماء ، وانتهت صولة الأسد ، تلك الأصوات التى كان يلقيها مملوءة بآيات التوحيد ، فتفزع أمامه الجحاجح ، وتنهار أمام عينيه حجب الزمان والمكان . . وأخيراً وقف المسلمون يبكونه أعظم البكاء .

ما نظم فى البكاء عليه :

لقد كثرت المراثى فى (سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب) وكلها فى تمجيد بطولته وتعداد شمائله الرفيعة والتنديد بمن أهلكهم من صناديد قريش وقادة الكفر وكلها تشهد الله وملائكته أنه كان (رضى الله عنه) وفيا أزال أطماع الدنيا فى قرارة نفسه فتساوى عنده الموت والحياة ولم ترعه المنية يوم طلب الفداء . . وقد ضرب للناس أرفع المثل فى البطولة . . وفى تفتح النفس نحو الحق فلا يناديها الحق إلا أقبلت . . وفى رسوخ الإيمان الذى تتحرك الجبال ولا يتحرك . . وفى الفناء فى دين الله مما جعله لا يرهب قريشا بأكملها فكانت حياته المثل الأعلى فى التضحية والفداء .

وسنكتفى هنا ببعض هذه المراثى فلا نذكر لشاعر ممن بكوه أكثر من قصيدة واحدة وقد قال (حسان بن ثابت) يبكيه رضى الله عنه :

دع عنك داراً قد عفا رسمها وابك على (حمزة) ذى الفائل

التارك القرن لدى لبـــدة   يعثر فى ذى الخرص الذابــل (١)
واللابس الخيــل إذا أحجمت   كالليث فى غابتـه الباســـل
أبيـض فى الذروة من هاشم   لم يمر دون الحق بالباطـــل (٢)
مال (شهيداً) بين أسيافكم   شلت يدا (وحشى) من قاتل
صـلى عليـه الله فى جنــة   عاليــة مكـرمة الداخـــل
كا نرى (حمزة) حرزا لنــا   فى كل أمر نابنــا نــازل
وكان فى الإســلام ذا تـدرأ   يـكفيك فقد القاعـد الخـاذل (٣)
لا تفرحى (يا هنـد) واستحلبى   دمعا وأذرى عـبرة الثا كـل
وابـكى على (عتبـة) إذ قطه   بالسيف تحت الرهج الجائـل (٤)
إذ خر فى مشيخـة منكم   من كل عات قلبـه جاهـل
أرداهم (حمـزة) فى أسرة   يمشون تحت الحلق الفاضل (٥)
غـداة « جبريل » وزير لـه   نعـم وزير الفـارس الحامـل

وها هو ذا (كعب بن زهير) يبكى (حمزة) فيقول :

ولقد هددت لفقد (حمزة) هدة   ظلت بنات الجوف منها ترعد (٦)
قرم تمـكن فى ذؤابة هاشم   حيث النبوة والندى والسؤدد (٧)
والعاقر الـكوم الجلاد إذا غدت   ريح يكاد المـــاء منها يجمد (٨)

---

(١) القرن : المنازل فى القتال . وذو الخرص : الرمح . الذابل : الرقيق
(٢) لم يمر : من المراء وهو الجدل .
(٣) ذا تدرأ : أى ذا مدافعة .
(٤) قطة : قطعه . الرهج : الغبار . الجائل : المتحرك ذاهباً راجعاً .
(٥) أرداهم : أهلكهم . أسره : قرابة . الحلق : الدروع . الفاضل : الذى يفضل منه وينجر على الأرض .
(٦) بنات الجوف : يعنى قلبه وما اتصل به مما يشتمل عليه الجوف .
(٧) القرم : السيد الشريف . ذؤابة هاشم : عاليها .
(٨) الـكوم : جمع كوماء وهى العظيمة السنام من الإبل . الجلاد : القوية .

obeikandi.com

والتارك القرن الكمى مجدلا يوم الكريهة والقنا يتقصد[١]
وتراه يرفد فى الحديد كأنه ذو لبدة شثن البراثن أربد[٢]
عم النبى محمد وصفيه ورد الحمام فطاب ذاك المورد
وأتى المنية معلماً فى أسرة نصروا النبى ومنهم المستشهد[٣]
ولقد أخال بذاك (هندا) بشرت لتميت داخل غصة لا تبرد
مما صبحنا بالعقنقل قومها يوما تغيب فيه عنها الأسعد[٤]
وببئر « بدر » إذ يرد وجوههم «جبريل» تحت لوائنا و «محمد»
حتى رأيت لدى النبى سراتهم قسمين : يقتل من نشاء ويطرد
فأقام بالعطن المعطن منهم سبعون : عتبة منهم والأسود[٥]
وابن المغيرة قد ضربنا ضربة فوق الوريد لها رشاش مزيد[٦]
وأمية الجمحى قوم ميله عضب بأيدى المؤمنين مهند
فأتاك فل المشركين كأنهم والخيل تقفهم نعام شرد[٧]
شتان من هو فى جهنم ثاويا أبدا ومن هو فى الجنان مخلد

* * *

وقال « عبد الله بن رواحة » يرثيه رضى الله عنه :

بكت عينى وحق لها بكاها وما يغنى البكاء ولا العويل
على « أسد الإله » غداة قالوا أ «حمزة» ذاكم الرجل القتيل ؟

---

(١) الكمى : الشجاع . مجدلا : مطروحا على الجداولة وهى الأرض . يتقصد : يتكسر
(٢) ذو لبدة : أسد . اللبدة : الشعر الذى على كيتفى الأسد . شثن : غليظ . البراثن للسباع : بمنزلة الأصابع للناس أو مخالبها . والأربد الأغبر يخالطه سواد .
(٣) معلماً : مشهراً نفسه بعلامة يعرف بها فى الحرب : الأسرة : الرهط .
(٤) العقنقل : الكثيب من الرمل .
(٥) العطن : مبرك الإبل حول الماء . المعطن : الذى قد عود أنه يتخذ عطناً .
(٦) الوريد : عرق فى صفحة العنق . الرشاش المزيد : الدم تعلوه رغوة .
(٧) الفل : القوم المنهزمون . تقفهم : تطردهم وتتبع آثارهم .

أصيب المسلمون به جميعاً هناك وقد أصيب به الرسول
أبا « يعلى » لك الأركان هدت وأنت الماجد البر الوصول[1]
عليك سلام ربك فى جنان مخالطها نعيم لا يزول
ألا من مبلغ عنى « لؤيا » فبعد اليوم دائلة تدول[2]
وقبل اليوم ما عرفوا وذاقوا وقائعنا بها يشفى الغليل
نسيتم ضربنا « بقليب بدر » غداة أتاكم الموت العجيل
غداة ثوى « أبو جهل » صريعا عليه الطير حائمة تجول
« وعتبة » و « ابنه » خرا جميعاً «وشيبة» عضه السيف الصقيل
ألا يا هند فابكى لا تملى فأنت الوالهالعبرى الهبول[3]
ألا يا هند لا تبدى شماتا « بحمزة » إن عزكم ذليل

* * *

وها هى ذى « صفية بنت عبد المطلب » تبكى أخاها حمزة فتقول :

أسائلة أصحاب « أحد » مخافة بنات أبى من أعجم وخبير[4]
فقال الخبير إن «حمزة» قد ثوى وزير رسول الله خير وزير
دعاه إله الحق ذو العرش دعوة إلى جنة يحيا بها وسرور
فذلك ما كنا نرجى ونرتجى (لحمزة) يوم الحشر خير مصير
فوالله لا أنساك ما هبت الصبا بكاءوحزناًمحضرىومسيرى[5]
على (أسد الله) الذى كان مدرها يذود عن الإسلام كل كفور[6]

---

(١) أبو يعلى : كنية حمزة رضى الله عنه . الماجد : الشريف .
(٢) الدائلة : الحرب .
(٣) الوالهة : الفاقد . العبرى : الكثيرة الدمع. الهبول : الفاقد أيضا .
(٤) الأعجم : الذى لا يفصح .
(٥) الصبا : ريح شرقية .مسيرى:غيابى.
(٦) المدره : الذى يدفع عن القوم . يذود :يمنع.

فياليت شلوى عند ذاك وأعظمى ... لدى أضبع تعتادنى ونسور (١)
أقول وقد أعلى النعى عشيرتى ... جزى الله خيراً من أخ ونصير (٢)

وبعد فهذه قصيدة شاعر الإسلام فى العصر الحديث (أحمد محرم) فى مقتل حمزة رضى الله عنه :

صاحب السيفين ماذا صنعا ... ودع الصفين والدنيا معاً
غاب عن أصحابه ما علموا ... أى دار حل لما ودعا
غاب عن أعينهم فى غمرة ... سد غول الهول منها المطلعا
طلبوه وتنادى جمعهم ... نكبة حلت وخطب وقعا
يا رسول الله — هذا (حمزة) ... أترى عيناك منه المصرعا
إنه عمك إلا أذنا ... قطعت منه وأنفا جدعا
إنه عمك فانظر بطنه ... كيف شقوه وعاثوا فى المعى ؟
كبد الفارس ماذا فعلت ... أين طاحت ؟ من قضى أن تنزعا ؟
نذر (هند) هى لولا أنها ... لم تسغها أكلتها أجمعا
طفقت تمضغ من أفلاذها ... علقماً مراً وسماً منقعاً
كلما همت بها تدفعها ... ملء شدقيها أبت أن تدفعا
نذرت يوم أبيها نذرها ... علها تشفى الفؤاد الموجعا
جاء (وحشى) فضجت فرحاً ... ويك إن الأرض ضجت فزعا
تبذلين الحلى والمال على ... أن جناه جاهلياً مفظعا
يا له يا هند جرحاً دامياً ... ضاق عنه الصبر مما اتسعا

---

(١) الشلو : البقية . تعتادنى : تتعاهدنى .
(٢) النعى : يروى بالرفع على أنه فاعل ومعناه الذى يأتى بخبر الموت ، كما يروى بالنصب على أنه مفعول ومعناه النوح والبكاء بصوت .

obeikandi.com

أفما أبصرت ركبى (أحد) حين سال الجرح كيف انصدعا ؟
وأبو سفيان ماذا هاجه ؟ أفما يزمع أن يرتدعا ؟
غره فى يومه ما غره إن عند الغد سراً مودعا
يطعن الليث ويفرى شدقه حين ألقى جنبه فاضطجعا
« أسد الله » رماه ثعلب يا له من حادث ما أبدعا
أخذته عثرة مزءودة ضجت الدنيا لها تدعو لعا
زالت الدرع فغشى بطنه دافق من دمه فادرعا
حربة ظمأى أصابت مشرعاً كان من خير وبر مترعا
جزع الهادى لها نازلة جللت علياً قريش جزعا
ثلمة هدت من الكفر حمى زعم الكفار أن لن يفرعا
بورك المضجع والقوم الألى وسدوا فيه الشهيد الأروعا
يا لريب الدهر ما أفدحه حادثاً نكراً ورزءاً مفجعا
أذكروا يا قوم من أمجادكم ما نسيتم رب ذكر نفعا

ما قيل فيه :

هى كلمات خالدة وسمات رفيعة تعمق فى نفوسنا حقيقة ما كان عليه (حمزة) عم النبى العظيم ووزيره الكريم . وقد عرف الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ما كان عليه (رضى الله عنه) من الإيثار الرفيع والتفدية السامية فآثره بجلائل الأعمال ، وندبه لما ينوء به الأبطال ، وعلم الله صادق إيمانه وعظيم جهاده ، فرفعه (رضى الله عنه) إلى أسمى مراتب الخلود . . وهى مرتبة الشهداء الصالحين .

وهذا ما أوردته الكتب فى سيرته مما يؤكد عالى منزلته :

* عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب .

* عن النورى قال . هؤلاء الثلاثة نجدة الصحابة : حمزة وعلى والزبير .

* ذكرت أسماء السابقين الأولين فكانوا ثلاثة وخمسين منهم أسد الله حمزة بن عبد المطلب .

* وعن الضحاك فى قوله تعالى : « والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم » قال هم ثمانية : أبو بكر وعلى ويزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وعمر تاسعهم ألحقه الله تعالى بهم لصدق نيته .

* عن كثير النواء سمعت عبد الله بن مالك : سمعت علياً يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه لم يكن نبى قط إلا وقد أعطى سبعة رفقاء نجباء وزراء وإنى أعطيت أربعة عشر « الحمزة وأبو بكر » وعمر وعلى وجعفر وحسن وحسين وابن مسعود وأبو ذر والمقداد وحذيفة وعمار وبلال وسلمان »

* روى شعبة عن سعد بن ابراهيم أنه سمع أباه يقول : أتى عبد الرحمن ابن عوف الطعام فجعل يبكى فقال : قتل حمزة فلم يوجد ما يكفن فيه إلا ثوباً واحداً لقد خشيت أن يكون عجلت لنا طيباتنا فى حياتنا الدنيا وجعل يبكى .

* عن سعد بن أبى وقاص قال : كان حمزة يقاتل يوم أحد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيفين ويقول : أنا أسد الله .

* قال عليه الصلاة والسلام . جاءنى جبريل فأخبرنى : أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب فى أهل السموات السبع : حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله .

* ذكر شهداء « يوم أحد » وكانوا ثمانية وستين وكان حمزة أولهم .

* قال وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه حين أسلم وقتل مسيلمة الكذاب

صاحب اليمامة : قد قتلت خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم (يريد حمزة) ، وقد قتلت شر الناس (يريد مسيلمة) فهذه بتلك .

* عن عاصم بن عمر عمن حدثه حين تراجع الناس يوم حنين قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم أحب (أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عمه عليه السلام) وشهد له بالجنة وقال : أرجو أن يكون خلفاً من حمزة .

* عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا ذكر (أصحاب أحد) : أما والله لوددت أنى غودرت مع أصحاب فحص الجبل (أى قتلت معهم) .

وأخيراً فذلكم هو البطل الشهيد الذى عاش لإيمانه وفى سبيله مات ودخل الإسلام منتصفاً لمحمد ، ومات مقاتلا فى سبيل الله ، وقد عاش فى أقسى فترات حياة محمد ، ولم يعرف الحياة منذ أسلم إلا مهاجراً أو مجاهداً أو فادياً ، ولم يمهله الله حتى يرى عزة الإسلام بعد الفتح الأكبر وحتى تقر عينه وهو يرى ألوية التوحيد الحق ترفرف على الجحافل الماضية لفتح الدنيا بل لم يمهله القدر الملاحق حتى ينعم بشىء من الراحة والجمام لقاء مابذل فى سبيل الله من جهود وجهاد ، أو يطرب لأناشيد القوة والنصر التى تفجرت من ينبوع هذا الدين ، فكانت له السيادة .

لقد ادخر الله له كريم المثوبة فى الجنة التى جعلها مثوى لأكرم شهداء المسلمين

وبعد فأنت أحرى — أيها القارىء الكريم — بالتماس سيرته فى المراجع المطولة ، وإنك لواجد فيها تصويراً رائعاً لبطولة فذة لا تظفر بمثلها فى صفحات التاريخ الإسلامى إلا فى القليل النادر .